الوليد بن عبيد اللّه بحتري الشرق (٢٠٦-٢٨٤) و أبو بكر يحيى بن جُبرَ الفهري الموحّدي بحتري الاندلس (٥٢٤-٦٦٧هـ) -دراسة موازنة-

East meets West Between Al-Waleed bin Obaid Allah Bahtri Al-Sharq (206-284) And the Abu Bakr Yahya bin Jabr al-Fihri al-Muwahhid Bahtri al-Andalus (667-524 AH) model

أ.م.د هاشم جعفر قاسم [١] A.M.D.Hashem Jaafar Qassem
أ.م.د بشرى حنون محسن[٢] A.M.D.Bushra Hanun Mohsen

الملخص

إن الخوض في تاريخ الأدب العباسي، سواء كان في حاضرته الشرقية المتمثلة بعاصمة الدولة العباسية بغداد. أم حاضرة الغرب المجتمعة بالأندلس، يبين ان وجود تقارب وانسجام في الفنون الشعرية. ولا يتوقف الامر على ذلك، بل أخذ بعض شعراء الغرب يلقبون أنفسهم بالألقاب نفسها التي اشتهر بها شعراء المشرق، فنجد أن الشاعر الذي اشتهر بلقب البحتري في الشرق، يظهر وبعد عقود شاعر من المغرب ليلقب ببحتري الأندلس ولكي نكشف عن الأسباب التي جعلت من الأخير يلقب بلقب سبق أنْ عرف به شاعر من شعراء الدولة العباسية، وجب علينا البحث في سبيل التوصل إلى الحقيقة. ومن هنا جاء تقسيم البحث على مبحثين، الاول يتناول وباختصار حياة بحتري الشرق وشعره، وتطرقنا إلى الفنون الشعرية التي حوتها دواوين شعره التي تركها. اما المبحث الثاني فقد وقفنا وبالتفصيل عند حياة بحتري الأندلس، لنتعرف على القواسم المشتركة التي تجمع بين البحتريَّين. املين ان نوفق في اكتشاف نقاط تجمع بين المشرق والغرب.

الكلمات المفتاحية: بحتري الشرق، بحتري الاندلس، بحتري الغرب.

١- جامعة أهل البيت-عليهم السلام-/كلية الآداب.
٢- جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية.

Abstract

Delving into the history of Abbasid literature, whether in its eastern metropolis represented by the capital of the Abbasid state, Baghdad. Or the metropolis of the West gathered in Andalusia, shows that there is convergence and harmony in the poetic arts. And the matter does not depend on that, but some Western poets called themselves by the same titles that the poets of the East were famous for. We find that the poet who was known as Al-Buhturi in the East, appears, after decades, a poet from Morocco to be called the Buhtari of Andalusia, and to reveal the reasons that made the latter be called the title of Sabq. If one of the Abbasid state poets knew him, we must search in order to reach the truth. Hence, the research was divided into two sections, the first deals with briefly the life and poetry of Bahtari of the East, and we touched on the poetic arts that were contained in the volumes of his poetry that he left. As for the second topic, we stopped in detail at the life of Bahtari of Andalusia, to learn about the common denominators that unite the two Bahtari. We hope to be successful in discovering points that combine the East and the West.

المقدمة

إن الخوض في تاريخ الأدب العباسي، سواء كان في حاضرته الشرقية المتمثلة بعاصمة الدولة العباسية بغداد. أم حاضرة الغرب المجتمعة بالأندلس، يبين ان وجود تقارب وانسجام في الفنون الشعرية. ولا يتوقف الامر، على ذلك بل أخذ بعض شعراء الغرب يلقبون أنفسهم بالالقاب نفسها التي اشتهر بها شعراء المشرق، فنجد أن الشاعر الذي اشتهر بلقب البحتري في الشرق، يظهر وبعد عقود شاعر من المغرب ليلقب ببحتري الأندلس ولكي نكشف عن الاسباب التي جعلت من الاخير يلقب بلقب سبق ان عرف به شاعر من شعراء الدولة العباسية، وجب علينا البحث في سبيل التوصل إلى الحقيقة، فكانت بداية الرحلة الشاقة وذلك لقلة المصادر، حيث اعتمدنا على كتب تاريخ الادب العربي في الاندلس ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين للدكتور احسان عباس وكتاب الأدب العربي في الأندلس للدكتور عبد العزيز عتيق فضلا عن كتاب مقدمة ابن خلدون، ولم نعثر على مصدر تطرق إلى حياة الشاعر يحيى بن مجبر الفهري، بحتري الأندلس كما لم يتطرقوا إلى شعره الذي كان له أثر في نهضة الأدب العربي في المغرب وبالأندلس على حدٍ سواء. علما بان الكتب التي تتطرق إلى الأدب العربي عموما والتي تتناول شعراءه وكتابه ومنهم بحتري (الشرق) قد حفلت بأخباره وكل ما يخص حياته وأشعاره، ومنها كتاب الأغاني الذي لم يترك شاردة أو واردة تخص البحتري من قريب أو من بعيد الا وذكرها. ولكن وبعد جهد توصلنا إلى بعض المصادر التي كشفت لنا شيئا عن حياة بحتري الاندلس، مثل كتاب دولة المرابطين والموحدين للدكتور عدنان عبد الله.

وقد قسم البحث على مبحثين، الاول يتناول وباختصار حياة بحتري الشرق وشعره، وتطرقنا إلى الفنون الشعرية التي حوتها دواوين شعره التي تركها. اما المبحث الثاني فقد وقفنا وبالتفصيل عند حياة بحتري

الأندلس، لنتعرف على القواسم المشتركة التي تجمع بين البحتريَّين. آملين أن نوفق في اكتشاف نقاط تجمع بين الشاعرين، وهذا بدوره سيكشف نقاط التقارب بين أدبي المشرق والغرب.

المعنى اللغوي للقب البحتري:

قبل التعرف على شخصية الشاعرين اللذين لقبا بالبحتري. ارتأينا التعرف على معنى كلمة (البحتري) التي اختصا واشتهرا بها. وكلمة البحتري وتعني القصير، وهي كلمة عربية تنسب إلى المذكر، والجمع بَحَاتِر، ويلفظ بلا ياء[٣]. وقد أُطلقت على الشاعر العباسي الوليد بن عبيد واشتهر بها. وكذلك أُطلقت على شاعر الأندلس أبو بكر يحيى بن جبر الموحدي، فضلا عن صفة تعريفية هي بحتري الأندلس[٤] لتمييزه من بحتري الشرق.

المبحث الأول: بحتري الشرق:

اسمه ولقبه:

هو أبو الوليد عبيد الله بن عبيد بن شملان بن جابر ويعود نسبه إلى طي[٥] بن أدد بن زيدان الذي يعود نسبه هو الأخرإلى عرب بن قحطان[٦]، وكنيته أبو الحسن أو أبو عباد[٧]. ولد سنة (٢٠٠ أو ٢٠٦هـ) في مدينة منبج[٨] وهناك رأي آخر في مدينة بِزَرَدَفِنة[٩] وهي قرية صغيرة قريبة من منبج[١٠]. ثم بعد ذلك انتقل إلى حمص والتقى بأبي تمام[١١]. حيث يذكر (أول ما رأيت أبا تمام أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدة اقول فيها[١٢].

أفاقَ صبٌّ من هوىً فأفيقا؟ أو خان عهداً أم أطاعَ شفيقاً [١٣]

بعد أن سبك شعره وأتقن قصائده وعدَّ من فحول شعراء عصره قصد بغداد، لينال من الجوائز والتكريم اسوة بشعراء البلاط، فمدح وزير الواثق بن الزيات[١٤]، وكذلك مدح الخليفة المتوكل[١٥].

ولم يقتصر مدحه على الخلفاء، بل مدح الأمراء والوزراء وقواد الجيش والعاملين في الدولة ذوي المناصب

٣- ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملائه، المكتبة الإسلامية ١:١٩٧٢/٣٩.وتعني.

٤- ينظرديوان بحتري الأندلس:٤٤.

٥- ينظر:كتاب الأغاني،أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ: ١٨/١٧٠.

٦- ينظر: المصدر نفسه: ١٨/١٦٧.

٧- ينظر المصدر نفسه: ١٦٧- ١٦٨.

٨- ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٤/٢٠٥، منبج -بفتح ثم سكون- مدينة تقع في الشام (شمال سوريا) وهي بلدة أبي فراس الحمداني أيضا.

٩- ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، أبي القاسم الحسن بن يحيى الآمدي البصري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

١٠- ينظر: معجم البلدان:٣/١٣٦ - وتنطق أيضا بزردنا: وهي تعد من نواحي حلب.

١١- ينظر الأدب العربي في العصر العباسي، ناظم رشيد، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٢٢:١٩٨٩.

١٢- المصدر نفسه أعلاه.ص١٢٢.

١٣- ينظر: ديوان البحتري:١٧٤.

١٤- هو محمد بن عبد الملك بن ابان بن حمزة المعروف بالزيات(١٧٣-٢٣٣هـ) ينظر: كتاب الوزراء والكتاب، القاهرة ١٩٣٨: ١٧٢. وينظر: تاريخ الرسل والملوك /ابو جعفر محمد بن جرير -تحقيق محمد ابو الفضل- دار المعارف، ط٤: ٩/٢٠.

١٥- هو الخليفة ابو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بم هارون الرشيد (٨٢٢-٨٦١م)ينظر: تاريخ الرسل والملوك: ٩/١٥٤ سنة ٢٣٢هـ.

الرفيعة، ولاسيما المقربين من أصحاب المال والسلطة. وكان يحضر مجالسهم ويشدو بما تجيد به قريحته من شعر[١٦] لكن يبدو ان طريقة إلقائه للشعر كانت تضيق لها صدور الحاضرين بسبب كثرة الفخر بنفسه واعتزازه بشعره ولاسيما عندما كان يطلب منهم أن يقولوا له أحسنت بعد كل بيت ينشده، مما كان سببا في ظهور الخصومات[١٧] فضلا عن المنافسين والحساد.

ولا ننسى دوره في الكتابة وبراعته فيها كما برع في الشعر ونظم القصائد[١٨].

امتاز شعر البحتري بديباجته التي يستهل بها مقدمة قصائده بما تحمله في طياتها من سهولة في المعنى، و خيال واسع يرسم من خلاله الصورة الجميلة والبعيدة عن التكلف والتي تشد السامع وهذا ما نجده في قوله:

"تظن شجوني لم تعتلج [١٩] وقد خلج[٢٠] البين من قد خلج"[٢١]

كونه يعبر عن حياته التي عاصر من خلالها البادية والمدينة[٢٢] هذا ما نجده في قوله:

"اما رأيتَ المريخ قد مازح الزهرة في الحدُّ منه والشرف"[٢٣]

كما لا يخلو ديوانه من الشعر التعليمي [٢٤]يقول:

"في نظام من البلاغة ماشكَّ امرؤ أنه نظامُ فريدِ
حُزن مستعمل الكلام اختياراً وتَجَنَّبن ظلمة التعقيد
وركِبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد"[٢٥]

وله في فن الوصف قصائد رائعة رسم من خلالها لوحات تسحر المتلقي وتجعله يسرح بخياله؛ فيصف في إحدى قصائده الهواء العليل الذي تصحبه زخات من المطر في منظر رائع من مناظر الطبيعة الخلابة:

"جاءَت بها ريحُ الصَّبَا من نجدِ فانتشرَت مثلَ انتشارِ العِقد
فراحت الأَرضُ بعيشٍ رَغد مِن وشي أنوارِ الرَّبى في بردِ
كأنَّما غُدارُها في الوَهدِ يلعبنَ من حَبابها بالنرد"[٢٦]

أما فن الهجاء فقد وصل منه النزر اليسير، والسبب في ذلك ان الشاعر قد طلب من ولده في أواخر عمره ان يحرق ما قد قاله من الشعر في فن الهجاء [٢٧]. و من ذلك قاله:

"وبني الهجيم قبيلة ملعونة حص اللحى متشابهو الألوان
لو يسمعون بأكلة أو شربة

١٦- العقد الفريد، احمد بن عبد ربه الاندلسي: ٣٧٧/٦.
١٧- ينظر: كتاب الأغاني:١٧٤/١٨.
١٨- ينظر: كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الإحياء التراث العربي- بيروت ١٩٤٩:١ / ٦٨.
١٩- ينظر:تعتلج - اضطرَب - المعجم الوسيط - حرف التاء
٢٠- ينظر: خَلَجَ- تحرَّك واضطرب- المعجم الوسيط - حرف الخاء
٢١- ينظر: كتاب الأغاني:١٦٨/١٨.
٢٢- ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري:١٥.
٢٣- ينظر: كتاب الأغاني:١٦٨.. ديوان البحتري ٥٦٣/١.
٢٤- ينظر زهر الآداب، ابراهيم بن علي الحصري القيرواني، المطبعة المصرية ١٢٠٥ ص:٢،٤.
٢٥- ينظر تاريخ الآداب العربية (من الجاهلية حتى عصر بني امية،كارلو نالينو، تقديم طه حسين، دار المعارف بمصر، ط٢:٤١.
٢٦- ديوان البحتري الشرق: ٥٦٧/١.
٢٧- ينظر: كتاب الأغاني: ١٦٧.

بعمان اصبح جمعهم بعمان"[٢٨]

أما صفاته فقد ذكرت كتب التاريخ والتراجم انه كان (أوسخ خلق الله ثوبا، وأبخلهم على كل شيء)[٢٩]. ومن هذا الوصف نستطيع أن نتصور حياته الاجتماعية وعلاقته مع الآخرين التي لابد ان تكون مبنية على المنفعة، وعلى مقدار ما يجنيه في قول قصيدة المدح. وإذا تأخر أو قصر الممدوح في العطاء، كان الهجاء هو السلاح الماضي في تخويفه أو تهديده.

وقد أطنب الباحثون في الكتابة عن حياته وشعره، وقد حفلت المكتبات بالكثير من الدراسات والبحوث التي تناولت نتاجه الإبداعي من جوانب فنية ونقدية وثقافية متنوعة[٣٠].

المبحث الثاني: بحتري الاندلس

اما بحتري الغرب الاندلسي، هو يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري[٣١] وكنيته أبو بكر والمشهور بالموحدي، نسبة إلى دولة الموحدين التي حكمت في بلاد الأندلس للمدة (٥٢٤-٦٦٧هـ / ١١٢٩-١٢٦٨م)[٣٢]. ونسبه يعود إلى فهر من دون خلاف مما يدل على انه عربي الأصل، وهو من سكنة مدينة مرسيّة[٣٣]، أنتقل إلى اشبيلية[٣٤]. أما سنة ولادته، فقد اختلف المؤرخون في تحديدها، جاعلين احتمالا انه ولد في سنة ٥٣٧ هـ[٣٥].

لمع اسمه وشاع صيته عند ملازمته لقائد الموحدين (أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٥٤٢-٥٥٨هـ)[٣٦]) وذلك لفرط ذكائه ونباهته التي أهلته أن يتقدم على شاعر البلاط على اثر قوله:

"إن خير الفتوح ما كان عفوا مثلما يخطب الخطيب ارتجالا"[٣٧]

ولما مات الخليفة يوسف بن عبد المؤمن رثاه الشاعر بقصيدة طويلة مطلعها:

"جل الأسى فأسل دم الأجفان ماذا الشؤون لغير هذا الشان"[٣٨]

كرس الشاعر معظم طاقاته وإمكانياته الأدبية والشعرية في مدح الخليفة يعقوب الملقب بالمنصور، وهو أول من أطلق عليه لقب أمير المؤمنين من ملوك الأندلس[٣٩]. وجاء ذلك بقوله:

٢٨- المصدر نفسه:١٧٠.

٢٩- ينظر: كتاب الأغاني: ١٨/١٧٠.

٣٠- ينظر: الادب العربي في العصر العباسي الأول- ناظم رشيد /١٢١

٣١- ينظر الأعلام، قاموس ترجمان لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي- بيروت ١٩٦٩:١٨٧.

٣٢- ينظر: الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، دار النهضة - بيروت ١٩٧٥:١١٤، دولة الموحدين وهي الدولة التي قامت على أنقاض دولة المرابطين.

٣٣- ينظر معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت الحموي، دار صادر- بيروت:مج٥/١٠٧. مُرسِيّة: وهي مدينة في الأندلس اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام.

٣٤- ينظر المصدر نفسه: مج١/١٩٥ وهي مدينة كبيرة ليس في الأندلس مثيلا لها، تقع غرب قرطبة بثلاثين فرسخ، وهي قريبة من البحر ويطل عليها جبل الشرف، الذي يكثر فيه زراعة الزيتون.

٣٥- ينظر: ديوان بحتري الأندلس:٣١، فقد ذكروا انه انتقل إلى اشبيلية سنة ٥٦٧هـ وعمره ثلاثين عام.

٣٦- ينظر الكامل في التاريخ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بان الاثير، عبد الوهاب النجار- القاهرة، مطبعة المنيرية ١٣٥٧هـ/١٩٣٨ م:٨ /٤٩٩.

٣٧- ينظر ديوان البحتري الاندلس:٣٥.

٣٨- ديوان البحتري الاندلس:٣٥.

٣٩- المصدر نفسه:٤٠.

"قلتُ أمَّا وَهيَ قَد عَلِقَت بأمير المؤمنين فلا"[٤٠]

اما سبب إطلاق لقب بحتري الأندلس كان بسبب إلى نوع من العصبية التي تدعو إلى الملكية[٤١]، وهي نابعة من طبيعة المجتمع الذي عاش فيه، و تلبية لذوق أهل الغرب، في دعوتهم للمساواة بينهم وبين أهل الشرق، إذ نجد شاعرهم يذكر أسماء شعراء المشرق في أبيات قصائده جاعلا منهم رموزا يتساوى معهم فنياً ولا يقل أهمية عنهم، فنذكر من ذلك قوله في الشاعرين المشهورين الفرزدق وجرير لما قال:

"وأذكرُ للفرزدق ألف بيتٍ وأكثِرُ في الروايةِ عن جريرِ
فقالَ لِيَ الذَّميمُ إليكَ عَنِّي فليسَ الشِّعرُ يُقبَلُ في الشَّعيرِ"[٤٢]

إن أول من أطلق عليه لقب بحتري الأندلس هو المؤرخ والأديب والشاعر ابن سعيد[٤٣]، حين قارن شعره مع شعر الشاعر الوليد بن عبيد البحتري، (بحتري المشرق)[٤٤] ما جعل ابن مجبر يتباهى بين شعراء أهل المغرب[٤٥]، إذ اراد ان يقارنه ويساويه ببحتري الشرق من حيث؛ غزارة نتاجه الشعري من جهة، وحبكة قصائده، و جمال معانيه من جهة أخرى.

أما وفاته فيتفق معظم المؤرخين انه قد توفي سنة ٥٥٨ هـ[٤٦]، إلا ان ابن خلكان يخرج عنهم، ليؤكد إن وفاته كانت سنة ٥٨٨[٤٧]. ومن هنا يمكن القول إن حياة أبو بكر بن يحيى بن جبير كانت بين (٥٣٥-٥٨٨هـ) أي لم يتجاوز من العمر أكثر من ثلاث وخمسين سنة. وقال قبل أن تناله المنية وهو يتحسر على الأيام الخوالي التي انعكست على حالته النفسية وأعطت إيماءات حزينة يؤطرها الندم:

ليت الشبابَ الذي ولت نضارتُهُ أعطانِي الحِلمَ فيما كان أعطاني
فلم تكن مِنّةٌ للشيبِ أحملها ولم يكن مِن سروري بَعضُ أحزَاني[٤٨]

أغراض بحتري الأندلس الشعرية:

أشاد المؤرخون بشاعريته ونظروا إلى أدبه بإعجاب وتقدير، فقد كان شاعرا مبدعاً ومحاكياً ولاسيما في قصائده التي شملت مدح الأمير يعقوب، لقب ابن مجبر بالأديب، وقليلا ما كان يدعى بالشاعر[٤٩]، وهذا لم نجد له أي تفسير، وأمره يحيطه بعض الغموض. علما اننا لم نجد له نص نثري أو نعثر على كتاب قام بتأليفه، بل أكثر نتاجاته هي قصائد شعرية[٥٠].

٤٠- المصدر نفسه:٨٧.
٤١- مقدمة ابن خلدون: ١٣٩/١.
٤٢- ينظر: ديوان يحيى بن مجبر:٧٩.
٤٣- هو نور الدين أبو الحسن بن موسى القيسي المغربي، هو مؤرخ وأديب وشاعر وعالم بالأدب عاش في المدة ١٢١٣-١٢٨٦م ودفن في الأندلس. ينظر إلى ديوان بحتري الاندلس:٦٥.
٤٤- ينظر: العقد الفريد، أبي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، جمعه احمد أمين، مطبعة التأليف والنشر والترجمة- القاهرة ١٩٤٩م: ٣٧٧/٦، وينظر الهامش أيضا من الصفحة نفسها.
٤٥- ينظر ديوان بحتري الاندلس:٤٤.
٤٦- ينظر: العبر في الخبر، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني، دار العلمية ١٤٠٥/٤:١٩٨٥/٢٧٧.
٤٧- ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس. بيروت ١٩٦٨: ١٣/٧.
٤٨- ينظر: ديوان بحتري الاندلس:٩١، ٩٢.
٤٩- ينظر: ديوان بحتري الاندلس:٣٧.
٥٠- ينظر: ديوان بحتري الاندلس:٣٧.

عرف انه اشترك بكتابة مقامة سميت بالمقامة الحسنية[٥١]. وقبل الغوص في الأغراض الشعرية المختلفة، يستوجب أن ننوه إلى أن بعضهم قد أشار إلى كتابته للموشح الأندلسي الذي كان منتشرا في تلك الحقبة، ولم يصل إلينا بسبب الضياع الذي شملها إسوة بشعره[٥٢]. علماً أن الشاعر قد عاش في أجواء، كان للموشحات الدور الكبير فيها، واحتلت مكانة كبيرة في الشهرة بين عامة الناس، ثم ما لبثت أن ارتقت لتنظم وتلقى في حضرة الأمراء والوزراء والقواد. و حوى ديوانه الشعري على مقطوعة قال فيها:

يا قلب ما للهوى ومالك وما لمن لا مني ومالي

أسرفت يا قلب في هواك
فاجنح إلى سلوة صباكا
تنال من أمره فكاكا
وانت يا يا عاذلي كفاكا

لو أن حالتي يكون حالك علمت ما حمّل احتمالي"[٥٣]

كانت الحياة السياسية التي عاصرها الشاعر وشهد احداثها مرتبكة وكان من نتائجها استحداث فن في الشعر الأندلسي وهو فن الاستصراخ والدعوة إلى الجهاد، الذي كان ممزوجا بالشجاعة والبسالة والنخوة وإغاثة المحتاج والملهوف، فالنجدة والعون من معاني المديح والفخر، لكن المرحلة التي عاصرها الشاعر، قادته إلى أن يكتب مثل هذا النوع من الفن، و كثر مثل هذا اللون من الشعر في ديوان بحتري الاندلس وفي مناسبات كثيرة حيث نجد ذلك في قوله:

تدارَك أميرَ المؤمنين دماءنا فإنّك للإسلام والدين ناصر
ووجّه إلى استنقاذنا بكتيبة يهاب الردى منها العدو المحاصر

إلى قوله:

بقيت أمير المؤمنين مخلّداً وكل الورى عنه كنه وصفك قاصر[٥٤]

استشف النقاد بأن هذه القصيدة مفعمة بمعاني الإيماء إلى أهل البيت –عليهم السلام–؛ مما يؤكد ما يبطنه من تشيع[٥٥]، ذاكرا خلود الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– وخلود آل بيته في منهج العقيدة الإسلامية.

ومن هنا نستطيع أن نقول، بأن الشاعر ابن جبير عدَّ في صف الشعراء الذين اتصفوا بالقدرة على تشخيص الحالات والمواقف التي تستوجب الانفعال، كي يوصل إلى السامع ما يريد من معاني حتى يتفاعل معه حينما ينشد، وبذلك يستحوذ على إعجاب الخاصة والعامة بكل شفافية.

ان ضياع كثيراً من أشعاره، وما كان يحتويه ديوانه، تعد خسارة كبيرة لا يمكن أن تسد الفجوة للوصول إلى مدى بعيد لما كان يملكه من مواهب. وهو الذي يقول عن نفسه وعن ذاته:

٥١– الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس،القاهرة ١٩٦٣: ١٨٣. وسميت بالحسينة لأنها كانت تتناول قصائدهم قضية استشهاد الامام الحسين بن علي–عليه السلام– وما اصابه في معركة الطف سنة ٦٠ الهجري.

٥٢– المصدر نفسه:٥٦.

٥٣– ينظر: ديوان بحتري الأندلس:٥٨.

٥٤– ديوان بحتري الأندلس:١٨.

٥٥– ينظر: المعجب في تلخيص اخبار المغرب، عبد الواحد الركابي، القاهرة ١٣٣٢هـ:٢٥٥.

سَـــأَســـتَجـدي صـــغيرًا من كبيرٍ وأرغـبُ في حصـــاةٍ من ثبـيرٍ[٥٦]

ولهذا السبب يكون حكمنا على الشاعر يحيى بن جبير حكما جزئيا، ويعود إلى النصوص النزرة التي يحتويها ديوانه، والتي اقتصر معظمها على قصائد التي قالها في الخليفة وقواده ووزرائه، وأيضا قسم قليل من الغزل الذي نجده في بعض قصائده وسنسلط الضوء تباعا على كل فن من الفنون الشعرية التي نظم بها.

الأغراض الشعرية المشتركة بين الشاعرين:

لقد تقاربت الفنون الشعرية وأغراضها بين الشاعرين، حتى بلغ تأثر الثاني بالأول، في نظم القصائد التي تحمل في طياتها مفردات متشابهة تحمل المعاني نفسها وتصب في ذات الأغراض الشعرية التي عرفتها الفنون الأدبية.

المديح:

يعد غرض المديح من أكثر الفنون غزارة عند كلا الشاعرين، وذلك للوصول إلى تحقيق غاياتهما في التكسب ونيل المنافع او المناصب والسبيل للتقرب إلى ممدوحهما.

اقتصرت معظم قصائد المدح التي نظمها بحتري الشرق على مدح الخليفة المتوكل العباسي ومن ذلك قوله:

قـل لـلـخـلـيـفـة جـعـفـر المـتـوكـل بـن المـعـتـصـم
المجـتـدى لـلـمـجـتـدي والمـنـعـم ابـن المـنـتـقـم[٥٧]

وفي احدى قصائده التي يمدح المتوكل بها يلقي عليه عباءة الدين والتقديس لما قال:

يا إمـام الهـدى الـذي احـتـاط لـلـديـن واجـتـهـد
سِـر بسَـعـدِ السُّـعـودِ في صُـحـبـةِ الـواحِـد الصَّـمـد
وابـقَ في الـعِـزِّ والـعـلُـوَّ لـنـا آخـر الَّا بَـد[٥٨]

ونجد الصورة نفسها في شعر بحتري الاندلس وهو يمدح الخليفة يعقوب بن المنصور بن عبد المؤمن بعد انتصاره على الافرنج قائلا:

"بشـرايَ هـذا لِواءٌ قَـل مـا عُقِـدا إلا ومـد لـه الـروحُ الأمـينُ يـدا
وأقبـل النصـرُ لا يعـدو منـاحيـه فحيث ما قصـدت راياتهُ قَصَـدا
واسـتَقبَلَتـهُ تبـاشـيرُ الفتوحِ فَقَـد كـادت تكونُ على أكتـافـه لَبَـدا[٥٩]

الشكوى من المشيب وذهاب الشباب:

صور لنا الشاعران الشباب الذي كان يمثل مرحلة النضارة والقوة والحيوية، فما كان منه أن يغيب لحلول الشيب بما فيه من الخمول والضعف وقلة الحيلة، فنجد البحتري قال في هذا الغرض:

يا حسـرتا أيـن الشَّـبـابُ الـذي عـلـى تـعـديّـه المشـيـبَ اعـتـدى

٥٦- ينظر:ديوان بحتري الاندلس:٤٥.
٥٧- ينظر: كتاب الاغاني: ١٨/١٧٣.
٥٨- ديوان البحتري -تحقيق حسن كامل الصيرفي- دار المعارف القاهرة ١٩٦٣ج٢/٧٠٨.
٥٩- ينظر: ديوان بحتري الاندلس:٧٣.

شـــبـت فـمـا أنـفـكَّ مـن حسـرةٍ والشَّـيـبُ في الرأس رسـولَ الردى[٦٠]

وظهرت صورة مشبه عند بحتري المغرب، وحملت ذات الشعور، المقرون بالأسف واللوعة والحسرة، لما قال:

رحـل الشـبـابُ ومـا سـمـعـتُ بـعَـبرَةٍ تجـري لمـثـلـهـا فـراق ذاك الـراحِـلِ
قـد كـنـتُ أُزهَـى بالشـبـابِ ولم أخَـل أن الشـيـبـةَ كـالخضـابِ الـنـاصـلِ[٦١]

وقال بحتري المغرب في موضع اخر:

ليـت الشـبـاب الـذي ولـت نضـارتـه أعـطـانِي الحِـلـمَ فـيـمـا كـان أعـطـانِي
فـلـم تـكـن مِـنّـةٌ لـلشـيـبِ أحمـلُـهـا ولم يـكـن مِـن شـرورِي بَـعـضُ أَحـزَانِي[٦٢]

الهجاء:

يعد الهجاء من الاغراض الشعرية التي تميز بها، بعض الشعراء وأخفق به آخرون. ولم يصل الينا الا قصيدتين[٦٣] لبحتري الشرق، إذ قال في إحداها:

رذلـت في هـذه الصـنـاعـة أو أكـديـت أورمـتـهـا عـلـى الخـوف
لم تخط باب الـدهـليـز منصـرفـا الا و خلخـالـهـا مع الشـنـف[٦٤]

وفي مناسبة أخرى يهجو أحدى القبائل قائلا:

وبـني الهـجـيـم قـبـيـلـة مـلـعـونـة حص الـلـحـى متشـابهـو الألوان
لو يسـمعون بأكلـة أو شـربـة بعمـان أصـبح جمعهم بعمـان[٦٥]

اتفق بحتري المغرب مع بحتري المشرق في ندرة قصائد الهجاء- وقلتها في ديوانهما؛ إذ لم يبلغ بحتري المشرق بالهجاء مبلغ الجودة و الاتقان مثل ما نظمه بباقي الأغراض، ومما قاله في الهجاء:

ركـبٌ إلى النـار الجحيم مسـيرهُم وركـابهم لا تسـتـطِيـعُ مسـيرا
الحيُّ منـهـم لا يُـرَى مسـتـوطِنـا والمَيـتُ مـنـهـم لا يُـرى مـقـبـورا
ممـا يـزيـد الأرض طـيـبـاً أنهـا لفظـت عِـداتـك أبطُنـاً وظهورا[٦٦]

الغزل:

في فن الغزل نرى البحتري الاندلس يشكو ما يعاني من الشوق وعذاب الهجر والصدود، يعكس به الآمه وأوجاعه فقال:

وقـائـلـةٍ تـقـولُ وقَـد رأَتـنِي أقـاسـي الجُـدبَ في المرعَى الخصـيـبِ
أمـا عَـطَـفَ الـفـقـيـهُ وأنـت تشـكـو لـه شَـكـوى العَـلـيـل إلى الطبيـبِ[٦٧]

٦٠- ديوان البحتري (الشرق): ج١/٦٥.
٦١- ديوان بحتري الاندلس:٨٧.
٦٢- المصدر نفسه اعلاه:٩٢.
٦٣- كتاب الاغاني:١٨/١٦٨.
٦٤- يهجو ابن ابي القماش (كما ذكر صاحب الاغاني) وهو محمد بن عيسى بن السكن بن ابي القماش توفى سنة ٢٨٧هجري. ولم نعثر عليه في ديوان بحتري الاندلس.
٦٥- كتاب الاغاني: ١٨/١٧٠.
٦٦- ينظر: ديوان بحتري الاندلس:٨٠.
٦٧- ينظر ديوان البحتري:٦٧.

ليتبعه بحتري الغرب الذي أبدع هو الآخر وأكثر في نظمه ونقل من خلاله حالة المحب المتيم الأسير بلوحة جميلة ومعبرة؛ حيث يقول:

دعا الشوق قلبي والركائب والركبا ... فلبوا جميعاً وهو أول من لبّا
وضَلنا نشاوى للذي بقلوبنا ... نخال الهوى كأساً ويحسُبنا شربا
إذا القضبُ هزّتها الرياحُ تذكّروا ... قدودالحسانِ البِيض فاعتنقواالقُبا[٦٨]

وينقلنا إلى صورة جميلة اخرى يجعل السامع يهيم في معاني الأبيات ويرسم في مخيلته سوح القتال واجواء المعارك واصفا لفارس قد ارتدى زي المحارب:

جاء وفي يساره ... قوسٌ وفي اليُمنى قدح
كأنه شمسٌ بَدَت ... وحولها قوس قُزَح
يا لائمي في حبّه ... ما كلُّ من لام نَصَح[٦٩]

وقد نظم كلاهما في غزل الغلمان الذي كان شائعا في عشق الغلمان والتعلق بهم[٧٠]، فيصف بحتري الاندلس غلاما قد نبت الشعر في وجنتيه:

"نبتت لحية شقران ... شقيق النفس بعدي
حلقت كيف أتته ... قبل أن ينجز وعدي"[٧١]

لم نعثر في ديوان بحتري الاندلس على قصائد او ابيات متفرقة يتغزل بها بالغلمان كما هو الحال عند بحتري الشرق، بالرغم ان هذا النوع من الشعر قد اشتهر في الحقبة التي عاصرها ابن مجبر.

الحكمة:

استعمل الشاعران فن الحكمة في شعرهما وهذا ما يدل على تجربتهما العميقة في الحياة حتى اوصلتهما إلى نتائج يمكن أن تصاغ وتنظم أشعارا. والشعر أكثر تأثيراً وامضاء في النفوس حين يستعمل المفردات المتمثلة بالحرق والاشتعال واضدادها مثل اطفاء النار- وهو تعبير أو توصيف للحالة التي تعايشها حين اطر الشكوى بالحكمة إذ قال بحتري الشرق:

"غروبَ دمعٍ منَ الأجفانِ تنهملُ ... وحرقةٌ بغليلِ الحزنِ تشتعلُ
وليس يطفئُ نارَ الحزنِ إذ وقدت ... على الجوانحِ إلا الواكفُ الخَضِلُ[٧٢]

وفي مشهد آخر لبحتري الشرق قد استخدم مفردات النار معبراً عن حرقة الحب وآلامه وما يصيب النفوس من لوعة يظل اثرها كلما مر به طيف حبيبته وهو أيضا في مجال جامعا الحكمة والموعظة بالغزل فيقول:

"فَطالما امتدَّ في غيِّ الصَّبا ... واشتدَّ في الحبِ تغريري وإخطاري
هوى أُعَفَّي على آثارهِ بهوى ... كمطفئِ من لهبِ النَّار بالناري[٧٣]

٦٨- ينظر: ديوان بحتري الغرب:٤٥، ٦٧(المفردات: الركبا، وضلنانشاوي) هي من نص القصيدة.
٦٩- ينظر: ديوان بحتري الاندلس:٧١.
٧٠- ينظر: الاغاني:١٦٩/١٨.
٧١- المصدر نفسه.
٧٢- ينظر: ديوان البحتري:١٨٨٧/٣.
٧٣- المصدر نفسه: ٨٥٨/٢.

وننتقل إلى ما قاله بحتري الغرب في الغرض نفسه:

"إن الشدائد قد تغشي الكريم لأن ... تبين فضل سجاياه وتوضحه
لا تغبِط المجدَب في علمه ... وإن رأيتَ الخصبَ في حاله
إن الذي ضيَع من نفسِه ... فوق الذي ثمَّر من مالِه"(٧٤)

ومن خلال ما استعرضناه في البحث وبإيجاز نرى التماهي في افكار الشاعرين والتقارب في الأفكار وان الأندلس كانت تسير وراء الشرق العباسي في الادب والفنون، محاولة تقليده او اللحاق به.

الخاتمة

نجد بين الشعراء العرب وفي عصورهم المختلفة قاسما مشتركا في المشاعر والعواطف والأحاسيس على الرغم من تفاوت الزمن واختلاف الرقعة الجغرافية. ولاسيما اذا كانت الثقافات متشابهة وهي ضمن اطار عصر محدد. لهذا نجد شعراء الشرق من الدولة العباسية يتبعهم ويتماهى معهم شعراء الغرب في المغرب والاندلس، ويحاول كل طرف أن يمشي على خطى الطرف الاخر لكي يؤكد انه جزء من الأمة الإسلامية والعربية، ولاسيما شعراء وأدباء المغرب العربي والأندلس فنراهم يقلدون تارة ويقتفون اثرهم.

ومن هذا البحث نستشف أن الذي قاد النقاد والأدباء في المغرب والأندلس إلى تسمية الشاعر أبي يحيى بن مجبر الفهري ببحتري الاندلس تيمنا ببحتري الشرق عبيد الله بن عبيد بن شملال المشهور بالبحتري. حيث التشابه الحاصل بين الشاعرين في المعاني، والأغراض، والصور الشعرية المتقاربة الدلالة.

ومن هنا نستنتج أن الأدب في الشرق العربي لا يمكن أن يستغني عن الغرب الأندلسي وكذلك الحال بالنسبة إلى الادب الاندلسي، حيث يكمل بعضهما البعض ليرفد البشرية وخاصة العرب عصارة الافكار والفنون والآداب.

المصادر

القرآن الكريم.

١- الأدب العربي في العصر العباسي الاول -ناظم رشيد- دار الكتاب للطباعة والنشر الموصل ١٩٨٩.

٢- الأدب العربي في الاندلس -عبد العزيز عتيق- دار النهضة / بيروت ١٩٧٥.

٣- الأدب العربي في الاندلس -عبد العزيز عتيق- دار النهضة / بيروت ١٩٧٥.

٤- الاعلام - قاموس ترجمان لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين- خير الدين الزركلي- بيروت ١٠٦٩.

٥- تاريخ الآداب العربية -كارلو نالينو- تقديم طه حسين- دار المعارف بمصر ١٩٧٠- الطبعة الثانية.

٦- تاريخ الرسل والملوك -ابو جعفر محمد بن جرير الطبري- تحقيق محمد ابو الفضل- دار المعارف/ بيروت ١٩٧٩ الطبعة الرابعة.

٧٤- ينظر: ديوان بحتري الاندلس:٨٥.

٧- تاريخ الأدب الأندلسي/ عصر الطوائف والمرابطين- احسان عباس -دار الثقافة / بيروت- الطبعة الثانية ١٩٧١.

٨- تاريخ العرب المطول - فليب حتي - دار النشر للطباعة ١٩٥١.

٩- الحلة السيراء -المؤلف مجهول -تحقيق حسين مؤنس - القاهرة/١٩٦٣.

١٠- دولة الاسلام والمرابطين والموحدين -عدنان محمد عبد الله- القاهرة ١٩٤٣.

١١- ديوان البحتري - ابو الوليد عبيد الله بن عبيد بن شملان -تحقيق حسن كامل الصيرفي- دار المعارف القاهرة ١٩٦٣.

١٢- ديوان بحتري الأندلس- ابو بكر يحيى بن مجبر الموحّدي -جمع وشرح يوسف عيد- دار الفكر العربي/ بيروت ٢٠٠٢ الطبعة الاولى.

١٣- زهرة الآداب -ابراهيم بن علي الحصري القيرواني- المطبعة المصرية ١٢٠٥هجري.

١٤- الشعر والشعراء -أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة -دار العربي للكتاب- بيروت ١٩٨٣.

١٥- العبرة في الخبر -محمد بن احمد عثمان الذهبي -تحقيق محمد السعيد بن بسيوني- دار العلمية/ القاهرة ١٩٨٥.

١٦- العقد الفريد -احمد بن عبد ربه الاندلسي جمعه/ احمد امين- مطبعة التأليف والنشر والترجمة/ القاهرة ١٩٤٩.

١٧- الكامل في التاريخ -ابي علي بن ابي الكرم محمد بن محمد المعروف بأبن الاثير- تحقيق عبد الوهاب النجار- القاهرة ١٩٣٨.

١٨- كتاب الحيوان -ابو عثمان بن بحر الجاحظ-تحقيق عبد السلام هارون - دار الاحياء العربي/ بيروت ١٩٤٩.

١٩- معجم البلدان -شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي- دار الصادر بيروت- سنة الطبع مجهولة.

٢٠- المعجم الوسيط -ابراهيم مصطفى وزملائه- المكتبة الاسلامية ١٩٧٢.

٢١- المغرب في حلي المغرب- ابن سعيد المغربي/ قسم الاندلس -تحقيق شوقي ضيف- القاهرة ١٩٦٤.

٢٢- مقدمة ابن خلدون -دار البيان /بيروت- تاريخ الطبع مجهول.

٢٣- الموازنة بين ابي تمام والبحتري -ابي القاسم الحسن بن يحيى الآمدي البصري (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) -تحقيق ابراهيم شمس الدين -دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠٦ الطبعة الاولى.

٢٤- الموسوعة العربية- بيروت ٢٠٢١.

٢٥- الوزراء والكتاب -محمد بن عبدوس الجهشياري- القاهرة ١٩٣٨.

٢٦- وفيات الاعيان -ابن خلكان- تحقيق احسان عباس- بيروت ١٩٦٨.